مفهوم الجمال في نظرية الثقافة لمالك بن نبي

بوشيخي علي[1]

يعتبر تحديد المفاهيم وضبطها من المعضلات الاولية التي تواجه الباحث عند محاولته التطرق لأي موضوع كان ، ومن هذا المنظور اعترف علماء الاجتماع والانثروبولوجيا انه من الصعب تقديم تعريف دقيق ومتفق عليه لمفهوم الجمال ESTHETIQUE ،فهو من المفاهيم المرنة التي يصعب تحديدها . ويعد هذا المبحث للقيم الذي له اصوله التاريخية والجغرافية من المواضيع التي حظيت باهتمام كبير من المفكرين وتعدد ت حوله واختلفت نظريات ومدارس الفكر الغربي والفكر العربي

و الإسلامي بحكم اختلاف ثقافاتهم وعصورهم. فلا يمكن الحديث عن الفكر الجمالي في العالم العربي والاسلامي من دون التطرق والاقتراب من المفكر مالك بن نبي الذي ظل يتحدث عن نظرية الثقافة باستمرار حيث هيمن مفهوم الثقافة على جل مؤلفاته، وشكلت نظرية اجتماعية ،واقتنع بانها تمثل حجر الزاوية في عملية التغيير الاجتماعي والبناء الحضاري للعالم الإسلامي .

ان اسهامات التصور الإسلامي لفكر مالك بن نبي تظهر في اعتبار الثقافة كأسلوب حياة ،نظرية في السلوك و كبنية تشكل عالم الاشخاص و عالم الافكار و عالم الاشياء ،وتعتبر الثقافة أيضا كنظام تربوي و منهج في التغيير. حدد مفكرنا هذا العلاقة التفاعلية والمتبادلة علاقة التأثير و التأثر، بين اسلوب حياة المجتمع وسلوك الفرد. ويعرف مالك بن نبي الثقافة على انها :" مجموعه من الصفات الخلقية والقسم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ و لادته كرأس مالي أولي في الوسط الذي ولد فيه ، و الثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه و شخصيته . و هذا التعريف الشامل للثقافة هو الذي يحدد مفهومها ، فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة و الذي يتحرك في نطاق الانسان المتحضر. و هكذا نرى أن هذا التعريف يضم بين دفتيه فلسفة الانسان و فلسفة الجماعة"[1]. ويعد مبدأ الجمال أحد الدعامات الأربعة الاساسية التي يتأسس عليها البرنامج التربوي للثقافة ، يتخذ منها الشعب دستورا لحياته ومنهجا في التغيير

[1] أستاذ(ة) جامعة سيدي بلعباس

واعادة البناء الحضاري ،فلا يستهدف منهج التغيير عند مالك بن نبي الانسان بصفته كائنا طبيعيا خلقه الله ووضع فيه تكريمه ،هذا الكائن لا تمسه يد التاريخ بتغيير ،وانما التغيير يمس الانسان بصفته كائنا اجتماعيا ، وهي التي تكون ميزة الفعالية فيه تعلي من قيمته الاجتماعية في ظروف معينة[2].وللفعالية شروط تشكل نظاما تربويا يحدد اسلوب حضارة ويمنحها القدرة على الابداع والاستمرارية، وتتمثل هده الشروط في المبدأ الاخلاقي لتكوين الصلات الاجتماعية ،و العنصر الجمالي لتحديد اشكال الذوق العام، والمنطق العملي لتحديد اشكال النشاط العام و الفن التطبيقي الموائم لكل نوع من انواع المجتمع ،او الصناعة حسب تعبير ابن خلدون[3].

سنحاول من خلال هذا المقال الكشف عن الدور الذي يلعبه المبدأ الجمالي وكيف يشكل دعامة اساسية في تحديد اشكال الذوق العام لنظرية الثقافة عند المفكر الجزائري مالك بن نبي.

قبل التنقيب على هذا الموضوع في اعمال هذا المفكر لابد من توطئة تاريخية حول الاصول التاريخية لمبحث الجمال، والذي لم تبدا نقطة البحث في التعبير ومقاييس الجمال وتجربتي خلقه وتذوقه الا في القرن الثامن عشر عندما اطلق الفيلسوف الألماني ألكسندر بوماجرتن A.BOUMGARTEN، اسم علم الجمال الاستيطيقا ACSTHETICS في كتابه تأملات في الشعر[4] وفي هذه الفترة وجد علم الجمال مكانه و شكله كعلم مستقل و كأحد فروع علوم الفلسفة. تطور موضوع الجمال عبر مراحل مختلفة بداية من المرحلة اليونانية و العصور الوسطى و العصر الحديث هذه المراحل التي ارتبطت بالثقافات حيث كان فيها هذا الموضوع تابعا لميادين مختلفة مختلطا تارة بين الفكر الميتافيزيقي و تارة اخرى بين الفكر الاخلاقي والديني ،بداية بفيتاغورس صاحب المعيار الرياضي الذي اعتقد بأن الصفة المشتركة بين الفن والكون هي ذلك النظام والائتلاف فالجمال عنده مستمد من نظام ومعقولية العالم السماوي أي أن المجال محكوم بعلاقات رياضية منطقية ثابتة وهو من وضع التفسير العددي لانغام الموسيقى التي كان يحبها ويمارسها فهذه الجمالية مثالية تقوم على العقل و ليس على الحس[5] مرورا بسقراط فالفن عنده مرتبطا بالأخلاق ، والذي هاجم فنون عصره حسب اعتقاده انها كانت تهدف الى مجرد المتعة[6]، وصولا الى افلاطون الذي شغلته مشكلة الحقيقة ،فالجمال عنده معرفة قائمة بالحواس وهو نموذج للمعرفة الضنية التي تهدف الى التضليل والخداع[7] كما بحث افلاطون في فكرة الجمال وكيف

تتمثل الموجودات المحسوسة والاعمال الفنية وانتهى الى انها مثال خالد في عالم المثل، وانتهى بحث ارسطو عن حقيقة الفن الى ان الفنون الجميلة هي نوع من المحاكاة لكنها محاكاة لا تتساوى بالنزعة الطبيعية[8].

وابرز سمة من سمات الفكر الجمالي اليوناني أن الجمال يحيل فيه دائما الى ما وراء الفنون و بدأت افكار الإغريق الجمالية بالظهور و التميز مع الإلياذة و الأوديسة في القرن السابع قبل الميلاد، حيث تميزت بوضوح مصطلحات و مناهج "الجميل و"الرائع و"الموسيقى" و "الرقص" وغيرها، وللتدليل على صحة هذا التصور يقول هوميروس في الإلياذة: "إن أثينا سكبت الجمال على أوليس"[9] كما عرف قدماء المصريين و البابليين من فكر فلسفي تتخلله أفكار جمالية، أي أن علم الجمال تاريخيا يرجع ظهوره إلى نحو 2500 عام مضت في عهد مجتمع الملكية العبودية في بابل و مصر و الهند و الصين و قد تطور بدرجة كبيرة في اليونان القديمة[10].

ثم أصبح الجمال في العصور الوسطى تابعا للاهوت والفكر الجمالي كان يدور حول الكتاب المقدس وان الفلسفة في هذه الفترة كانت خادمة للدين بحيث تصور الكون للعالم لا يختلف عن تصور الدين والجمال في هذه الفترة هو احد ادلة وجود الله[11]. فالرسم أيضا كان موضوعه مستوحى من الكتاب المقدس وحتى المسرحيات كانت وعضيه أخلاقية، فغاية الجمال و الفن في هذه الفترة هي تقوية الشعور الديني ، ومن ابرز المفكرين في هذه الفترة توماس الاكويني الذي اعتبر ان الجمال دليل على حسن الصنعة الإلاهية ، وافلوطين الذي يربط بين فكرة الجمال والله وتحدث عن الجمال بصفته مظهرا للحق وجزء من عالم الإلهيات[12]. أما الفكر الإسلامي فتجلت فيه أيضا الأفكار الجمالية التي رسمت صورة الوجود استنادا الى قيم الاسلام فهو التعبير الجميل عن الكون والحياة والانسان ويقول في هذا الصدد محمد قطب :"هو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق .فالجمال حقيقة في هذا الكون والحق هو ذروة الجمال .. ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود[13]". الجمال هو الاخر في الفترة الاسلامية ارتبط بالكتاب المقدس القران الكريم ، و أصبح الجمال صفة من صفات الخالق الا أن التفكير الجمالي الإسلامي لم يخرج عن التزام أولي مبدئي بالتصور الإسلامي للكون ، كما رسمه الإسلام، والالتزام بقيمه و وجد فن اسلامي اصيل شمل مجالات عديدة في الحضارة الاسلامية التي ملا اشعاعها

ارجاء العالم الى اربعة عشر قرنا[14].ينظر الموقف الإسلامي إذن بعمق روحي وجداني إلى الفنون من زاوية الوظيفة التي تؤديها و مدى النفع الذي تسديه للإنسان في طريق بلوغ أهدافه الروحية و الاجتماعية فليس الفن لأجل الفن بل الفن الهادف هو الذي يسهم في البناء الحضاري. يتوضح ان الفن والدين في العصر الوسيط مرتبطان ارتباطا عضويا ، بحيث لا يمكن ان يوجد فن عظيم او مراحل فنية مهمة من دون ان تكون ملتحمة بديانات كبيرة.[15]

وجاءت مرحلة العصر الحديث أين ضل البحث في مجال الفن و الجمال هو الاخر تابع للميتافيزيقا والاخلاق، بضهور المنهج الديكارتي المبني على فكرة الوضوح والتمييز وتطورت العلوم التجريبية، بضهور ليبنز وكتاباته عن الموسيقى بلغة الرياضيات وحتى هذه الفترة لم تكن هنالك لغة مستقلة ولا ميدان يتحرك فيه علم الجمال إلى أن ظهر بومجارتن. وأكد بعده صاحب الثالوث النقدي ديكارت(نقد العقل الخالص، نقد ملكة الحكم ،نقد العقل العملي) ان تجربة الجمال تساهم في ملكات الانسان ،وانه لابد من تقييم تجربة تستدعي حكما، فالجمال عنده متعة خالصة ينتمي الى ميدان الوجدان والشعور ، ميدان العقل هو المنطق وميدان الاخلاق هو السلوك وميدان الحكم فهو الجمال[16]، وظهرت افكار هيجل في كتابه محاضرات حول فلسفة الفن وأرجع الجمال إلى اتخاذ الفكرة بمظهرها الحسي ، ونتشه، وشوبنهاور اللذان اعتبرا الفن والجمال طريقة الخلاص من الارادة الشريرة و محرر للعقل فهو يسمو بنا إلى لحظة تعلو على قيود الرغبة، و تجاوز حدود الإشباع ، وظهر فلاسفة ومفكرون آخرون لهم نفس التوجه الفكري[17]. ..

وأصبح علم الجمال يبحث في مسائل الجمال و البشاعة بوجوهها الإبداعية و النقدية و النظرية و يتناول كيفية إبداع الفنانين لمنتجاتهم و ظروف ذلك و كيف يتذوق الناس هذه الأعمال الفنية وكيف يشعرون بإزائها و كيف يثمنون تلك الأعمال و إلى الآثار التي يتركها تذوق تلك الأعمال الفنية في أفكار الناس و في مشاعرهم و في حياتهم اليومية. هذه الجوانب الإبداعية و النقدية تستشير قضايا نظرية تشكل الجانب النظري في علم الجمال[18]. و يعرف على أنه علم يمثل الإنسان للعالم تمثلا جماليا محكوما بالقانون و الجوهر و قوانين تطور الفن و دوره في التحويل الاجتماعي كشكل خاص من لأشكال هذا التمثل[19].

أما التفسير المادي التاريخي لمفهوم الجمال يتصور أن الجميل نتاج للممارسة الاجتماعية و التاريخية، فالجميل هو التبديل الكامل للحياة و لا ينشأ الجميل الحقيقي إلا خلال النضال من أجل إعادة بناء المجتمع ثوريا، وحسب هذا التيار الوضع الاقتصادي لكل مجتمع ، هو الذي يحدد أوضاعه الاجتماعية ، والسياسية ،والدينية ، وأن لكل حركة تاريخية في حياة الانسان هو وضع القوة المنتجة و وسائل الانتاج ويرجع هذا التيار الوجود الاجتماعي على أنه الاصل ، وعلاقات الانتاج على أنها الاساس التكوين الاجتماعي ويقول في هذا الشأن ماركسMarx "ولم يكن وعي الناس وما يتصورون هو الاصل في وجودهم الاجتماعي هو أصل وعيهم وما يدركون"[20].

فالحديث عن مفهوم الجمال عند مالك بن نبي لم يأت من العدم بل هو نتاج نظرة تحليلية و نقدية لنظريات الثقافة كما تجلت عند علماء الأنثروبولوجيا و الاجتماع الغربيين و الفلاسفة والماركسيين الذين سبقوه، حيث تعامل هذا الرجل مع الفكر الغربي بنظرة و منهجية علمية متميزة من خلال قطيعته مع الخلفية الايديولوجية الرأسمالية و الماركسية، و استعار مفاهيمهما و أدواتهما المعرفية التي مكنته من النظر الى الثقافة كظاهرة اجتماعية انسانية قابلة للدراسة، واستطاع القيام بالتمحيص و التشخيص لأزمة العالم الاسلامي، كما كان للثقافة الغربية الاثر البالغ في تشكيل فكره، ويتجلى هذا التأثير في اكتشافه للمنهج الديكارتي العقلاني من خلال اطلاعه على الكتب ،والمجلات والجرائد الماركسية فيقول :"...اخترت بين قراءتي السياسة صحيفة شيوعية الانسانية كانت تروي اكثر ظمئي الوطني ... قرأت أيضا الكفاح الاجتماعي والتي كانت تأتينا الى الجزائر بصورة متقطعة[20].

فغاية الفن الامتاع بشتى الوانه وانواعه، ومظاهر الفن تتجلى في الجمال المنتشر حولنا في كل مكان، والاحساس الفني يتحلى به أبناء المجتمع الراقي المتطور حضاريا ،ويعتبر ذوق الجمال الأساس الثاني الذي تقوم عليه الثقافة بقوله: "ذوق الجمال الذي يطبع الصلات الاجتماعية بطابع خاص فهو يضفي على الأشياء الصورة التي تتفق مع الحساسية و الذوق العام ألوانا و أشكالا، فإذا كان المبدأ الأخلاقي يقرر الاتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع و الغايات فإن ذوق لجمال هو الذي يصوغ صورته"[21].

البيئة والمجتمع وهو حصيلة معلومات ومعارف وخبرات ومهارات تراكمت عبر العصور[26] والجمال قيمة يتصل بالسلوك ،و الصور الجميلة تدفع بالإنسان إلى الخلق و الإبداع والتفنن في الاعمال و الرغبة في الإنتاج و بالتالي فالأفكار للمحيط الاجتماعي و نتاج له يقول مالك بن نبي: «فالجمال الموجود في الإطار الذي يشتمل على ألوان و أصوات و روائح و حركات و أشكال يوحي للإنسان بأفكاره، ويطبعها بطابعها الخاص من الذوق الجميل أو السماحة القبيحة" [27].

والتربية الفنية قادرة على فك التزمت وتهذيب الطباع ،وتحرير الانسان من انفعالاته ومن رؤيته المكبوتة والتقليدية للوجود، ومن عاداته الآلية ، ومن عزلته الانانية الضيقة ،إن القبح الذي يطغي على المجتمع إنما يعبر عن عرض من اعراض تخلف الحضارة، و شلل يصيب المجتمع و يوضح مالك بن نبي صحة هذه النظرة بأمثلة شائعة في المجتمعات الإسلامية تجلت في ذلك الطفل الذي يلبس الأسمال البالية و الثياب القذرة حيكت من قاذورات وجراثيم، إن مثل هذا الطفل الذي يعيش جسده وسط هذه القاذورات و المرقعات الغير متناسبة تحمل في المجتمع صورة القبح و التعاسة معا، بينما هو جزء من ملايين السواعد و العقول التي تحرك التاريخ لكنه لا يحرك شيئا لأن نفسه قد دفنت في أوساخه و لن تكفي عشرات من الخطب السياسية لتغيير ما به من القبح و ما يحتويه من الضعة النفسية والبؤس الشنيع[28] أراد هذا الطفل من الوجهة الخلفية ستر عورته، و لكن مرقعاته قد قتلت كرامته وإذا نظرنا إلى أسمال هذا الطفل فهي على كونها أسمالا تحمل معنى القبح، و تحمل أكثر من ذلك جراثيم تقتله ماديا و أدبيا، فليست هذه الأسمال جرابا للوسخ فقط ولكنها سجن لنفس الطفل أيضا[29].

فكلما زاد المحيط جمالا وانتظاما ، نما الخيال الجميل عند الافراد، وكلما ازداد خيال الافراد الجميل ازداد المحيط جمالا[30]، فالجمال هو عنصرا هاما من عناصر التغير الاجتماعي و وسيلة من وسائل عملية البناء الحضاري لا يكتفي مالك بن نبي بعرض هذه التظاهرة الاجتماعية و تشخيصها و إنما يقف إزائها موقف المصلح الاجتماعي إذ يقترح وصفته العلاجية لها متمثلة في تحويل صورة القبح التي تجلت في منظر الطفل إلى صورة جميلة و هذا المثال يدل ضمنيا أنه لما نرى خرقا في كساء أحد المتسولين فإنه يشعرنا بوجود خرق في ثقافتنا. ان المجتمع الذي يعنى بالفن والجمال هو مجتمع يستطيع ان يحافظ على توازنه وترابطه ، ويسمو بأفراده الى مراتب تساعدهم على الوئام مع

محيطهم ،والحرص على تحسين واقعهم، فهو يمتلك وظيفة تربوية ،تعليمية ويساهم في تطو المجتمع وتربية الانسان وصقل مشاعره وذوقه و هكذا يتجلى أسلوب التغيير الاجتماعي و البناء الحضاري عند مالك بن نبي و على أسس تربوية و يبدو ذلك في قوله: "ومن المؤكد أننا لا نأتي له بثوب آخر، فنحن نريد أن نخلصه من قبحه في سرعة و يسر و إذنا فنحن نأخذ بيد هذا الطفل إلى الماء فننزع عنه مرقعاته و نأمره بأن يقوم بغسل واحدة منها ذات لون أقرب إلى الذوق، قطعة تكفي لستر عورته يغسلها ثم يرتديها بعد ان يغتسل هو أيضا مما به من وسخ ثم نأخذه إلى حلاق يحلق رأسه. فبهذا لا يظل كومة متحركة من الأوساخ، بل يصبح طفلا فقيرا يسعى لقوته نجد فيه صورة الفقر و الكرامة لا القبح و المهانة.

وأكد الاسلام على اخطر انواع التلوث وهو تدهور الاخلاق ،وانحطاط القيم ،وانتشار الفساد والكذب، فالمحافظة على البيئة صيانة للأمانة وبالأخلاق الجمالية نصنع الثورات والبطولات الانسانية ونغير وجه التاريخ البدائي القبيح لصالح الانسان ، وبالخلاق تجاوز الزمن أعواما وقرونا في تاريخ الحضارة البشرية[31]. فالتربية التي هي عملية تجميل للمحيط الثقافي والاجتماعي الذي يحيا فيه الافراد ويتم هذا حسب مفكرنا عن طريق تكوين الذوق العام ، وتسعى الى تكوين بذلك الى تأصيل القيم الجمالية في النفس والمجتمع وتجعل من المحيط الثقافي والاجتماعي محيطا منعشا يحرر طاقات أفراده ويزيد من فعاليتهم ، ويوحي لهم بالأفكار الجميلة كما انه يحفظ لهم كرامتهم الانسانية[32]. هذا التصور الجمالي للبيئة يتفق مع نظرة مالك بن نبي الذي يقول: "فالذوق الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل و توخيا الكريم من العادات"[33].

و إذا عدنا إلى التاريخ الإسلامي يمكن أن نقدم من الأدلة ما يثبت أن الجمال يحدث أثره في النفس البشرية و جعل القلوب تلين بعد قسوتها و تحقق السكينة و الاستقرار للإنسان، فقد كان أهم ما يميز القرآن الكريم هو البعد الجمالي يبدو جليا في كل آية من آيته الكريمة و هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عن القرآن الكريم: "ما أحسن هذا الكلام و أكرمه.. فلما سمعت القرآن رق له قلبي، فبكيت و دخلني الإسلام"[34].

و هؤلاء زعماء قريش يجدون شيئا خفيا يسيرهم كل ليلة ليستمعوا قراءة رسول الله(ص) ولا يستطيعون الامتناع عن السير إليه مع تعاهدهم عليه و لا يملكون مخالفة هذا الدافع الخفي. و هذا يدل على مرحلة التذوق الفطري المباشر للجمال الفني القرآني يجد فيها الإنسان مس القرآن، و يلمس تأثيره و يبهر به، ويستسلم له، و لا يحاول أن يبحث عن سر ما يلمسه، و تعليل ما يجد[35].

من هنا نلاحظ علاقة متأتية من التصور الاسلامي للوجود، والفن هو التعبير الجميل عن الكون والحياة، والانسان، من خلال تصور الاسلام للكون، وللحياة وللإنسان[36]. يلحظ مالك بن نبي أن الإنسان المسلم يفتقد لذوق الجمال، ولا يعتمد عليه في حل بعض مشكلات المجتمع، ويكتشف أن سر تخلف العالم الإسلامي يرجع إلى إهمال شعوبه لهذا الشرط الأساسي في البناء الحضاري، فقد ساهم هذا الشرط في تطور الحضارة الغربية وأصدق مثال يعبر عن اهتمام هذه الحضارة بذوق الجمال يستمده مالك بن نبي من روسيا، فقد أصدرت سلطاتها أمرا تدعو فيه سكان موسكو بمراعاة نظافة المدينة و كل مواطن يبصق في الشارع أو يلقي بأعقاب السجائر على الأرصفة أو يلصق إعلانا على الجدران أو يركب السيارات العامة و هو يرتدي ملابس عمل وسخة، فإنه يعرض نفسه لعقوبة نصت على دفع خمسة و عشرين إلى مئة روبل، فلو سألنا عمدة موسكو عن سبب هذا الإجراء المتخذ من الحكومة الروسية يجيب بأنه القانون و النظام و يجيب الطبيب بأنها الصحة و الفنان بأنه جمال الطبيعة.

و هكذا يبدو على ضوء هذا المثال أن المجتمعات المتحضرة تولي أهمية كبرة للجمال لأنه مقياس تخلف أو تطور المجتمع و علامة على تحضره يقول بن نبي: "إن الجمال هو وجه الوطن في العالم فلنحفظ و جهنا لكي نحفظ كرامتنا، و نفرض احترامنا على جيراننا الذين ندين لهم بالاحترام نفسه"[37].

ولا يمكن للمبدأ الجمالي أن يقوم بوظيفة التغيير الاجتماعي و البناء الحضاري إلا إذا كان له ضابطه الذي يحدد غاياته و أهدافه. هذا الضابط يتمثل في المبدأ الأخلاقي لأن كل مجتمع ينتج مهما تكن درجة تطوره قيما أخلاقية و جمالية نلتمسها في عاداته و تقاليده و أعرافه، أي في أسلوب حياته، فقد اعتبر مالك بن نبي المبدأ الأخلاقي و المبدأ الجمالي من القوانين التي يخضع لها

نشاط المجتمع و تقوم عليه حضارته يقول مالك بن نبي: "إن هناك على الخصوص صلة بين المبدأ الأخلاقي و ذوق الجمال، تكون في الواقع علاقة عضوية ذات أهمية اجتماعية كبيرة، إذ أنها تحدد طابع الثقافة كله و اتجاه الحضارة حينما تضع هذا الطابع الخاص على أسلوب الحياة في المجتمع و على سلوك الأفراد فيه"[38].

وأكد الاسلام على اهمية العنصر الجمالي ، وان الجمال صفة اخلاقية يجب ان يتحلى بها الانسان و يمكن على – تعبير مالك بن نبي– أن نصوغ هذه العلاقة في صورة جبرية مفادها:

مبدأ أخلاقي+ مبدأ جمالي= اتجاه حضارة[39].

إذا كانت الأخلاق هي الأساس الديناميكي أو الدفع الأول للفعل يعد عنصر الجمال الأساس النوعي أو التقويمي الذي يشكل قيمة الفعل بل هو الإطار الذي تتكون فيه الحضارة[40].

يرى مالك بن نبي أن المجتمعات تتعامل مع القيم الخلقية و الجمالية بكيفيات مختلفة و هذا يعود إلى خصائص أسلوب ثقافة كل مجتمع، فالمجتمع الغربي يولي أهمية كبيرة للمبدأ الجمالي على حساب المبدأ الاخلاقي، إذ تمنح الحرية المطلقة للفنان مثلا أن يرسم امرأة عارية كما للمرأة الحرية أن تلبس أي نوع من الثياب العصري للكشف عن جمالها و مفاتنها.

أما في المجتمع الإسلامي فإن قيمه الاجتماعية و الدينية لا تطلق العنان للتعبير عن كل أشكال الجمال وخاصة تصوير المرأة عارية، و اللباس في الإسلام يهدف إلى ستر عورة المرأة للحفاظ على المجتمع و وقايته من الفتن، و لكن هذا لا يعني أن الإسلام يحرم الجمال و إنما يضعه في سلم القيم، أي أن الجمال في الإسلام له غايات و أهداف محددة في القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة. و على هذا الأساس أعطى مالك بن نبي حق السبق و التقدم للمبدأ الأخلاقي لأنه العنصر الحاسم في تركيب الثقافة و الموجه الفعلي لمسار الحضارة.

ومن هذا المنظور يؤكد بعض المفكرين ان هناك علاقة متينة بين الجمال والفن والأخلاق والتربية الجمالية أداة من ادوات تهذيب السلوك بتطبيعه بقيم الجمال، كما انها احدى ادوات التطور فهي بسحرها ولمساتها المؤثرة تحطم العادات الجامدة، وتوجد عادات، وسلوكات جديدة متحررة، وذات مرونة في التعامل، والاخذ والعطاء[41].

من خلال هذا العرض الوجيز حول رؤية مالك بن نبي لمفهوم الجمال نستشف أنه لم ينقب عن هذا المبحث من وجهة نظر ميتافزيقية ، أخلاقية أو مادية ،ولم يبحث عن مصدر الحكم عن الاشياء إن كان عقليا أو تجريبيا ،بل قام بنظرة تقوم على الأبعاد و الوظائف النفسية

و الاجتماعية، وخلص في تفسيراته إلى أن الجمال هو عنصرا هاما من عناصر التغير الاجتماعي و وسيلة من وسائل عملية البناء الحضاري و هو الذي يجعل ثقافة ما متميزة عن الثقافات الأخرى و هو العنصر الذي يصوغ صورة المبدأ الأخلاقي.

الهوامش:

[1]- مالك بن نبي شروط النهضة ،ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق ط1987،4،،ص98

2-مالك بن نبي ،تأملات ،دار الفكر ،دمشق،ط1991،5،ص26

3- عبد اللطيف عبادة، عالم الافكار ، نصوص مختارة من مؤلفات مالك بن نبي ،ط2007،1،ص66

4-نوكس، النظريات الجميلة، كانت، هيجل، شوبنهاور، ترجمة محمد شفيق ، منشورات بحسون الثقافية، ط1، 1985، ص13

5- عصام الاحمدي عصام، تاريخ الفن ، دار الفكر، دمشق ،سوريا ،ط1،ص،43

6- نفس المرجع ،ص62

7-نوكس، النظريات الجميلة، مرجع سابق ، ص 105

8-أميرة حلمي قطر،مقدمة في علم الجمال ،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،د.ط،1976 ،ص 8

9- أ. نوكس، الرجع السابق، ص16

10- م. رونتال، ب. يودين، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص305

11- عصام الاحمدي عصام، تاريخ الفن ، مرجع سابق،ص 222

12-أميرة حلمي قطر،مقدمة في علم الجمال، مرجع سابق ص 8

13- محمد قطب ، منهج الفن الاسلامي ،دار الشروق، بيروت ،د ط، ص6 ،د س

14- بشير خلف ،الفنون في حياتنا ،دار الهدى ، ميلة الجزائر،ط1/ص2009،40

15- بشير خلف ،الفنون نفس المرجع ص42

16- عصام الاحمدي عصام، تاريخ الفن ، مرجع سابق ،ص203

15-شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي دراسة في سيوكولوجية التذوق الفني، مجلس الثقافة و الفنون و الآداب، الكويت 2001، ص10

16- المرجع السابق، ص14
17- م. روزنتال، ب. يودين، مرجع سابق، ص305
18- عبد الفتاح ابراهيم ،علم الاجتماع والماركسية ، دارا الطليعة ،بيروت ،ط،1980،ص16
19-مالك بن نبي ،مذكرات شاهد على القرن ،دار الفكر،دمشق،ط2 ،1984 ،ص،89.
20-مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص150
21- محمد بغداد باي، التربية والحضارة ،عالم الافكار للنشر والتوزيع،الجزائر،ط،2،ص2007،128
22- يعقوب احمد الشراح ، التربية البيئية ومازق الجنس البشري ،عالم الفكر ،ص26،العدد 3،مارس 2004
23- بشير خلف ،الفنون في حياتنا، مرجع سابق،208
24-مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص100
25-أجون ديوي، الفن خبرة ،،ترجمة زكريا ابراهيم ،مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشلا،القاهرة ،ط1،ص110
26- مالك بن نبي شروط النهضة المصدر السابق، ص99
27-مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مصدر سابق، ص 217
28- مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص100
29-محمد بغداد باي، التربية والحضارة ،مرجع سابق،ص 156
30- حسين الحاج حسن ،علم الاجتماع الادبي ،المؤسسة الجامعية للنشر،لبنان،ط،2،ص 1986،264
31-محمد بغداد باي، التربية والحضارة ،مرجع سابق، ص 167
32- مالك بن نبي، شروط النهضة المصدر السابق، ص 98
33-صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988، ص11
34- المرجع نفسه، ص 12
35-بشير خلف، الفنون في حياتنا، مرجع سابق،ص49
36-مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص101
37-مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص108
38-محمد بغداد باي، التربية والحضارة ،مرجع سابق ص154
39-شايف عكاشة، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1993، ص70
40-محمود البسيوني، أصول التربية الفنية، عالم الكتب، القاهرة، ،ص1985،30 ط،3